ولكن حرب الثلاثين سنة لم تقدم ـ على المستوى الاسرائيلي ـ حل مشكلة العمر اليهودي الضائع • لم يتمكن اليهود من التحول الى سكان شرعيين في المنطقة • ولم يتمكنوا من صياغة حياتهم الطبيعية • ولم يتمكنوا من تحقيق سلام مع احد • ولم يحققوا استقلالهم المستحيل • كان عيدهم الثلاثون أمس شرا من جنازة ، فلم يعد أحد منهم قادرا على القول ان فلسطين لا وجود لها • وان الفلسطينيين من هم ؟ لا نعرف احدا بهذا الاسم ، كما كانت تقول رئيسة وزرائهم السابقة • على العكس من ذلك ، كانت حربهم الخامسة ـ عشية عيدهم الثلاثين ـ مع هذا الشبح الفلسطيني الذي حارب احدث طائراتهم ودباباتهم لمدة ثمانيةايام في جنوب لبنان ، دون ان يتمكنوا من خدش حضوره الساطع في يومياتهم وفي مستقبلهم الذي يدفعه هذا الحضور الى الغياب • ان المنطق الاسرائيلي هو الذي يلغي الوجود الاسرائيلي باشتراطه حضوره بغياب الفلسطينيين • لقد حضر الفلسطينيون ولم تكن الطائفة اليهودية تحارب الصحراء والاشباح • لقد حشد الفكر الصهيوني نفسه بمقولات خلاء ارض فلسطين من السكان • ونجح المستوطنون اليهود في اخلاء مناطق واسعة من أرض فلسطين من السكان • كانت دير ياسين وكفر قاسم شرط حياة الكيان الصهيوني ،كما كانت مذابح النازية الشرط ذاته ـ كيف يصير اليهودي نازيا، تماما كما يصير العربي صهيونيا ـ ولكن لانجاز المشروع الصهيوني والقيام بدوره الذاتي ودوره الصليبي شروطا اخرى هي المزيد من الارض • لم تكن الارض خالية، فلم يتمكن الفكر الصهيوني والواقع الاسرائيلي من التعامل مع الفلسطينيين على أساس انهم غائبون • لقد استحضرهم التوسع في الوعي وفي الصراع • لا • ليس صحيحا القول ان المشروع الصهيوني قد خلق نقيضه الفلسطيني ، فان هذا النقيض موجود قبل المشروع وهو الذي يعرقل صيرورة المشروع الى ثبات ، وهو الذي يستقطب اللحظة الثورية العربية ، ويغذي الامة بنبض المواجهة •

هل نجح المشروع الصهيوني اذن ؟ على المستوى الاسرائيلي الذاتي ، لم يكن تاريخ المشروع تاريخ بناء دولة ، اطارا لتطور شعب يمارس حريته وحياته وابداعه الحضاري • انهم مشغولون بعرقلة حياتنا ، فلا يستطيعون تطوير حياتهم • مشغولون ببناء هيكل الخوف النفسي والجسدي وعاء وحيدا لتوحيدهم • لقد كان تاريخ المشروع ولا يزال تاريخ بناء جيش • اسبارطة جديدة لا قيمة للانسان فيها الا قيمة الاعتداء • وخارج هذه الصيرورة لم تفعل الطائفة شيئا ذا شأن غير بعث اللغة • وهكذا كان « تحررها » نضالا قاسيا لاختيار العبودية • فيبقى السؤال عن النجاح او الفشل محكوما بمعايير الاخرين • اما في شروط الغزو فيبقى السؤال متأرجحا على موازين القوى •